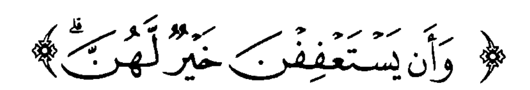
نداء إلى

العفيفات



إعداد

القسم العلمي بدار الوطن

دار الوطن للنشر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

دار الوطن للنشر - الرياض

هاتف : ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس : ٤٧٢٣٩٤١ - ص ب : ٣٣١٠

❑ البـــريد الإلكتـــروني : pop@dar-alwatan.com

❑ موقعنا على الإنترنت : www.dar-alwatan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه..وبعد:

فقد حرص الإسلام على العفة أيّما حرص، فما من شريعة عظَّمت شأن الحياء وصيانة القلوب كما عظَّمت شريعة الإسلام، وما من كتاب دعا إلى العفاف والفضيلة وطهارة النفوس مثلما دعا القرآن الكريم، وما من نبي حثَّ على حفظ القلوب والجوارح مثلما حثَّ عليه نبي الإسلام..

إنها شريعة الاستقامة والطهر والصفاء والنقاء .. من التزم حدودها نجا من طوفان الشهوات، ومن سلك سبيلها وصل إلى طريق الفوز والنجاة، ومن تنكّب دربها هلك وتجرع مرارة الحسرات..

إن المرأة العفيفة درة مصونة، وجوهرة مكنونة، لا تعرف المكر ولا الخداع، ولا حيل الساقطات في الفتنة والإيقاع.

فإذا كانت في بيت أبيها ملأت البيت نوراً وتقىً وهداية، وإذا ذهبت إلى بيت زوجها حفظته في نفسه وماله وعرضه، وأخذت تعلّم أبناءها ما تعلمته في بيت أبيها من الحياء والعفة

والفضيلة . .

وهل للعفاف في دين الإسلام فضل؟

وهل للعفيفات الغافلات الطيبات أجر؟

إي وربي للعفاف في الإسلام فضل عظيم، وللعفيفات الطيبات أجر كبير، نطق به الكتاب العزيز، ودعت إليه سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام، فمما ورد في فضله في كتاب الله عز وجل:

فضل العفاف في القرآن

١ ـ قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٧]. فقد وصف الله عز وجل المؤمنين بحفظ فروجهم والوقوف عند حدود الله عز وجل، وعدم تعدي ذلك إلى ما لا يحلّ لهم، فهؤلاء هم المؤمنون المفلحون يوم القيامة. قال ابن كثير: «أي والذين قد حفظوا فروجهم من الحرام، فلا يقعون فيما نهاهم الله عنه من زنا ولواط، لا يقربون سوى أزواجهم التي أحلّها الله لهم، أو ما ملكت أيمانهم من السراري، ومن تعاطى ما أحلّه الله له فلا

لوم عليه ولا حرج، ولهذا قال: ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ أي غير الأزواج والإماء ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ أي المعتدون»(١).

٢ ـ وقال تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

قال ابن كثير رحمه الله: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ أي من النساء ﴿قَٰنِتَٰتٌ﴾ قال ابن عباس وغير واحد: يعني مطيعات لأزواجهن: ﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ قال السدي وغيره: أي تحفظ زوجها في غيبته في نفسها وماله. وقوله: ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ أي المحفوظ من حفظه الله»(٢).

٣ ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣١٨).
(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٦٤٢).

عَظِيمًا﴾ [الأحزاب : ٣٥]. فبيَّن الله في هذه الآية أن حفظ الفرج وصيانته عن الحرام من جملة أسباب المغفرة والأجر العظيم يوم القيامة.

٤ ـ وقال تعالى : ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور : ٣١].

أيتها المرأة المسلمة! إنه طريق التوبة والفلاح.. طريق الفوز والنجاح.. طريق النصر على الأعداء والعز والتمكين.. غض الأبصار.. وحفظ الفروج.. وستر العورات.. والالتزام بالحجاب الكامل الساتر الذي لا يشف ولا يكشف ولا يضيق عن البدن ولا يكون زينة في نفسه، ولا يكون فيه تشبهاً بالرجال أو بغير المسلمات.

قالت عائشة رضي الله عنها : «يرحم الله نساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ شققن مروطهن فاختمرن بها.

وعن صفية بنت شيبة قالت : بينا نحن عند عائشة، فذكرنا نساء قريش وفضلهن فقالت عائشة رضي الله عنها : إن لنساء قريش لفضلاً، وإني ـ والله ـ ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشدّ تصديقاً بكتاب الله، ولا إيماناً بالتنزيل؛ لقد أنزلت سورة النور ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ انقلب إليهن رجالهن، يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته، وعلى كلّ ذي قرابته، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحَّل، فاعتجرن به[(١)]، تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله من كتابه، فأصبحن وراء رسول الله ﷺ معتجرات، كأن على رؤوسهن الغربان..

فأين نساء المؤمنات اليوم من المسارعة إلى العمل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ؟ أين هن من الحجاب الكامل الساتر البعيد كل البعد عن التبرج والفتنة؟

---

(١) اعتجرن به : لففن به رؤوسهن.

وما موقف تلك المرأة التي تلبس عباءة الفتنة، عباءة الموضة، عباءة التبرج، لتفتن بها عباد الله، وتستجلب بها أنظارهم وقلوبهم وغرائزهم.. قال النبي ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها» [رواه مسلم].

٥ ـ وقال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣] قال عكرمة: هو الرجل يرى المرأة فكأنه يشتهي، فإن كانت له امرأة فليذهب إليها، وليقض حاجته منها، وإن لم يكن له امرأة فلينظر في ملكوت السموات والأرض حتى يغنيه الله..

وكذلك أنت أيتها الأخت المسلمة.. الفاضلة العفيفة.. إن كنت ذات زوج فقد أحلّ الله لك ما يكون بين الأزواج من المتعة المباحة والشهوة الحلال، وإن لم تكوني ذات زوج فاصبري حتى ييسر الله لك زوجاً صالحاً، فإن الصبر عاقبته حميدة، وقد بيَّن الله تعالى أن الخير في التزام طريق الصبر والعفاف فقال سبحانه: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ [النور: ٦٠].

فالجئي إلى الله عز وجل، واسأليه من فضله، وأكثري من

الصلاة والدعاء والاستغفار، فمن أدام قرع الباب يوشك أن يُفتح له..

٦ ـ ومدح الله تعالى مريم ابنة عمران بالعفاف فقال سبحانه: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢].

٧ ـ وقال تعالى مبيناً فضل من عفَّ وراقب ربَّه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٤٦]. قال مجاهد: هو الذي إذا همَّ بمعصية ذكر مقام الله عليه فانتهى.

وقال غيره: إذا أراد أن يذنب أمسك عن الذنب مخافة الله تعالى.

٨ ـ وبيَّن تعالى أن طريق الإحصان هو طريق الصالحين التائبين، وأن طريق الشهوات هو طريق الضالين الهالكين، فقال سبحانه بعد أن ذكر المحرمات من النساء وحثَّ على النكاح من الحرائر العفيفات أو الإماء العفيفات: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٦ ـ ٢٨].

قال ابن كثير رحمه الله: «يخبر تعالى أنه يريد أن يبين لكم أيها

المؤمنون ما أحلّ لكم وحرّم عليكم مما تقدّم ذكره في هذه السورة وغيرها ﴿ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ يعني طرائقهم الحميدة واتباعَ شرائِعِه التي يحبها ويرضاها ﴿ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي من الإثم والمحارم، وقوله : ﴿ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ أي يريد أتباع الشياطين من اليهود والنصارى والزناة أن تميلوا عن الحق إلى الباطل ميلاً عظيماً»(١).

أحاديث نبوية في فضل العفاف

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ : **«سبعة يظلهم الله في ظلِّه، يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه؛....وذكر منهم : ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ربّ العالمين»** [متفق عليه].

تدبري أختاه هذا الموقف. . امرأة ذات منصب وسطوة. . وهي كذلك ذات جمال وحسن ودلال. . ورجل ضعيف لا حول له ولا قوة. . لا يراهما أحد إلا الله عز وجل. . والمرأة راغبة في

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٦٢٥).

الفاحشة.. ولن يحاسبهما أحد من البشر، والرجل له شهوة، وكذلك المرأة، والمكان مهيأ.. والشيطان متربص .. ولكن مخافة الله عز وجل تهتف في أعماق هذا الرجل : إياك أن تسقط.. إياك أن تبيع جنة عرضها السموات والأرض بشهوة لا تستمر إلا دقائق معدودة.. فينتبه الرجل إلى نفسه ويقول في عزة وشموخ : «إني أخاف الله ربّ العالمين» : جمالك لن يفتنني، وجاهك لن يغلبني.. ورضا الله عندي أغلى من نيل كل شهوة وإدراك كلّ لذة..

***ويا ليت نساءنا وفتياتنا** يتعلمن من هذا الرجل درساً في العفاف والفضيلة والتسامي فوق الغرائز والشهوات.. درساً في قياد النفس وامتلاك زمامها عند الشدائد والمدلهمات من المواقف.. حتى لا تسقط المرأة والفتاة عند أول بارقة من فتنة.. ولذلك استحق هذا الرجل أن يظله الله تعالى في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه.

٢ ـ وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«إذا صلّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها : ادخلي من أيّ أبواب الجنة شئت»** [أخرجه ابن حبان وصححه الألباني].

فحفظ الفرج من أسباب دخول الجنة والتمتع بما فيها من نعيم

مقيم لم تره عين، ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على قلب بشر . .

فيا أيتها المسلمة هذا طريقك إلى الجنة فالزميه : أداء الصلوات الخمس في مواقيتها، وصيام شهر رمضان، والعفاف، وطاعة الزوج في غير معصية، وفعل ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه، وتقوى الله عز وجل في السرّ والعلانية .

٣ ـ وفي قصة الثلاثة الذين آواهم الغار وانحطت عليهم صخرة من الجبل فسدّت عليهم الباب فلا يستطيعون الخروج؛ دعوا بأعمال صالحة عملوها، ليفرج الله عنهم ما هم فيه، فقال أحدهم : «**اللهم إنه كان لي ابنة عمٍّ، أحببتها كأشدِّ ما يحبُّ الرجال النساء، فأردتها على نفسها، فامتنعت مني، حتى ألمّت بها سنة من السنين ـ أي نزل بها القحط والشدة والجوع ـ فجاءتني، فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلّي بيني وبين نفسها، حتى إذا قدرتُ عليها** ـ وفي رواية : **فلما قعدت بين رجليها** ـ **قالت : اتقِ الله ولا تفضَّ الخاتم إلا بحقه، فانصرفت عنها وهي أحبّ الناس إليّ، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها...**».

فهذه المرأة كادت تقع في الفاحشة بسبب الفقر والقحط الذي ألمّ بها، وربما رأت أنها معذورة في ذلك، ولكن لا عذر لها، فالحرة تجوع ولا تأكل بثدييها . .

وبينما هي تمارس فعلتها تحت ضغط الفقر والجوع والمطالب التي لا تنتهي، إذا بصوت الدين ينطلق في خفوت، وكأنه يودّع أنفاسه الأخيرة : يا عبد الله ! اتق الله، ولا تفضّ الخاتم إلا بحقه . .

ونزلت كلماتها كالصاعقة على هذا الرجل . . فانتبه لنفسه، واستيقظ من غفلته، وانتبه من رقدته . . وكأنه تساءل : ما هذا الذي أفعل؟ فقام عنها دون أن يمسّها بسوء . . فكتب الله لهما النجاة، وأثبت اسميهما في ديوان أهل العفاف . .

٤ ـ وقال النبي ﷺ : **«اضمنوا لي ستًّا من أنفسكم أضمن لكم الجنة : اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدّوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم».**

٥ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت النبيَّ ﷺ يحدّث حديثاً، لو لم أسمعه إلا مرةً أو مرتين حتى عدَّ سبع مراتٍ، ولكني سمعته أكثر من ذلك . . سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«كان الكفلُ من بني إسرائيل لا يتورّع من ذنب عمله، فأتته امرأة فأعطاها ستين ديناراً على أن يطأها.. فلمَّا قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت، فقال : ما يبكيك؟ أأكرهتكِ؟ قالت : لا، ولكنه عمل ما عملته قطّ، وما حملني عليه إلا الحاجة، فقال : تفعلين أنت هذا وما فَعَلْتِه؟ اذهبي والدنانير لك، ثم قال : والله لا أعصي الله بعدها أبداً، فمات من ليلته، فأصبح مكتوباً على بابه : إن الله قد غفر للكفل» [رواه الترمذي وحسَّنه، وصححه ابن ماجه والحاكم في المستدرك، ووافقه الذهبي].

ما ورد عن السلف في فضل العفاف

قال ابن القيم رحمه الله : «لم يزل الناس يفتخرون بالعفاف قديماً وحديثاً، قال إبراهيم بن أبي بكر بن عياش : شهدت أبي عند الموت فبكيت، فقال : يا بني! ما يبكيك؟ فما أتى أبوك فاحشة قط».

* **وقال عمر بن حفص بن غياث :** لمَّا حضرت أبي الوفاة أغمي عليه، فبكيت عند رأسه، فأفاق فقال : ما يبكيك؟ قلت : أبكي لفراقك ولما دخلت فيه من هذا الأمر ـ يعني القضاء ـ فقال : لا تبك، فإني ما حَلَلْتُ سراويلي على حرامٍ قط.

* **وقدم عروة بن الزبير** على الوليد بن عبد الملك، فخرجت برجله قرحة الآكلة ـ نوع من السرطان ـ فاجتمع رأي الأطباء على نشرها، وأنه إن لم يفعلْ قتلَتْه، فنشروا ساقه بالمنشار، حتى فرغوا منها ثم حسموها، فلما نظر إليها في أيديهم تناولها وقال: الحمد لله، أما والذي حملني عليك إنه ليعلم أني ما مشيت بك على حرام قط. .

أرأيت أختي المسلمة !! كانوا يفتخرون بالعفاف لأنهم يعلمون ما له من فضل، وما لصاحبه من أجر ومنزلة عند الله تعالى يوم القيامة. .

* **وكذلك أنت ـ أختي المسلمة ـ** افتخري بعفافك. . واعتزي بحيائك. . وافرحي بإيمانك وطهرك وصيانتك . . ولئن فرح نساء الدنيا باتباعهن الهوى، وانقيادهن للشهوات والغرائز الشيطانية، فلسوف تفرحين أنت بطاعتك لربك في الدنيا والآخرة، وسوف تباح لك الجنة بما فيها، فيا لها من سعادة، ويا له من فوز. .

وعلى الجانب الآخر ترين من كن يفرحن في الدنيا بمعصية الله، تعلوهن الكآبة والمقت، ويحيط بهن العذاب من كل جانب،

وتتمنى إحداهن أن تعود إلى الدنيا فتعمل صالحاً غير الذي كانت تعمل . . ولكن لا ينفع الندم يومئذٍ، ويؤتى بالموت فيذبح بين الجنة والنار. ثم ينادى : يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً واستبشاراً، ويزداد أهل النار حسرة وندامة وهمًّا وغمًّا . . فاعملي أختاه لهذا اليوم، فـ ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات : ٦١].

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* * *